بواحد منها على صحة الرؤية فإن كان الصحيح رأيت نورا فهو قد أخبر أنه لم
ير الله وإنما رأى نورا منعه وحجبه عن رؤية الله تعالى وإلى هذا يرجع قوله نور أنى
أراه أي كيف أراه مع حجاب النور المغشي للبصر وهذا مثل ما في الحديث الآخر
حجابه النور وفي الحديث الآخر لم أره بعيني ولكن رأيته بقلبي مرتين وتلا ثم دنا فتدلى
والله قادر على خلق الإدراك الذي في البصر في القلب أو كيف شاء لا إله غيره فإن ورد
حديث نص بين في الباب اعتقد ووجب المصير إليه إذ لا استحالة فيه ولا مانع
قطعي يرده والله تعالى الموفق

فصل وأما ما ورد في هذه القصة من مناجاته
لله وكلامه معه بقوله فأوحى إلى عبده ما أوحى إلى ما تضمنته الأحاديث فأكثر
المفسرين على أن الموحي الله إلى جبريل وجبريل إلى محمد عليهما السلام إلا شذوذا منهم
فذكر عن جعفر بن محمد الصادق قال أوحى إليه بلا واسطة ونحوه عن الواسطي وإلى هذا ذهب
بعض المتكلمين أن محمدا كلم ربه في الإسراء وحكي عن الأشعري وحكوه عن ابن مسعود
وابن عباس وأنكره آخرون وذكر النقاش عن ابن عباس في قصة الإسراء عنه عليه السلام
في قوله دنا فتدلى قال فارقني جبريل فانقطعت الأصوات عني فسمعت كلام ربي وهو يقول
ليهدأ روعك يا محمد ادن ادن وفي حديث أنس في الإسراء نحو منه وقد احتجوا في هذا
بقوله وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء
فقالوا هي ثلاثة أقسام من وراء حجاب كتكليم موسى وبإرسال الملائكة كحال جميع الأنبياء
وأكثر أحوال نبينا صلى الله عليه وسلم الثالث قوله وحيا ولم يبق من تقسيم صور الكلام
إلا المشافهة مع المشاهدة وقد قيل الوحي هنا هو ما يلقيه في قلب النبي صلى الله عليه وسلم
دون واسطة وقد ذكر أبو بكر البزار عن علي في حديث الإسراء ما هو أوضح في سماع
النبي صلى الله عليه وسلم لكلام الله من الآية فذكر فيه فقال الملك الله أكبر الله أكبر
فقيل لي من وراء الحجاب صدق عبدي أنا أكبر أنا أكبر وقال في سائر كلمات الأذان
مثل ذلك ويجيء الكلام في مشكل هذين الحديثين في الفصل بعد هذا مع ما يشبهه وفي
أول فصل من الباب منه وكلام الله لمحمد ومن اختصه من أنبيائه جائز غير ممتنع
عقلا ولا ورد في الشرع قاطع يمنعه فإن صح في ذلك خبر اعتمد عليه وكلامه تعالى لموسى
كائن حق مقطوع به نص ذلك في الكتاب وأكده بالمصدر دلالة على الحقيقة ورفع
مكانه على ما ورد في الحديث في السماء السابعة بسبب كلامه ورفع محمدا فوق هذا

كله

كله حتى بلغ مستوى وسمع صريف الأقلام فكيف يستحيل في حق هذا أو يبعد
سماع الكلام فسبحان من خص من شاء بما شاء وجعل بعضهم فوق بعض درجات

فصل وأما ما ورد في حديث الإسراء وظاهر الآية من الدنو والقرب من قوله دنا
فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فأكثر المفسرين أن الدنو والتدلي منقسم ما بين محمد
وجبريل عليهما السلام أو مختص بأحدهما من الآخر أو من السدرة المنتهى قال الرازي وقال
ابن عباس هو محمد دنا فتدلى من ربه وقيل معنى دنا قرب وتدلى زاد في القرب وقيل هما
بمعنى واحد أي قرب وحكى مكي والماوردي عن ابن عباس هو الرب دنا من محمد صلى الله
عليه وسلم فتدلى إليه أمره وحكى النقاش عن الحسن قال دنا من عبده محمد صلى الله عليه وسلم
فتدلى فقرب منه فأراه ما شاء أن يريه من قدرته وعظمته قال وقال ابن عباس هو مقدم
ومؤخر تدلى الرفرف لمحمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج فجلس عليه ثم رفع فدنا من ربه قال
فارقني جبريل وانقطعت عني الأصوات وسمعت كلام ربي وعن أنس في الصحيح عرج
بي جبريل إلى سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو
أدنى فأوحى إليه بما شاء وأوحى إليه خمسين صلاة وذكر حديث الإسراء وعن محمد بن كعب
هو محمد دنا من ربه فكان قاب قوسين قال وقال جعفر بن محمد أدناه ربه منه
حتى كان منه كقاب قوسين وقال جعفر بن محمد والدنو من الله لا حد له ومن العباد
بالحدود وقال أيضا انقطعت الكيفية عن الدنو ألا ترى كيف حجب جبريل عن دنوه
ودنا محمد إلى ما أودع قلبه من المعرفة والإيمان فتدلى بسكون قلبه إلى ما أدناه
وزال عن قلبه الشك والارتياب قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه اعلم أن ما وقع من
إضافة الدنو والقرب هنا من الله أو إلى الله فليس بدنو مكان ولا قرب مدى بل
كما ذكرنا عن جعفر الصادق ليس بدنو حد وإنما دنو النبي صلى الله عليه وسلم من ربه وقربه
منه إبانة عظيم منزلته وتشريف رتبته وإشراق أنوار معرفته ومشاهدة أسرار
غيبه وقدرته ومن الله تعالى له مبرة وتأنيس وبسط وإكرام ويتأول فيه ما
يتأول في قوله ينزل ربنا إلى سماء الدنيا على أحد الوجوه نزول إفضال وإجمال وقبول
وإحسان قال الواسطي من توهم أنه بنفسه دنا جعل ثم مسافة بل كلما دنا بنفسه
من الحق تدلى بعدا يعني عن درك حقيقته إذ لا دنو للحق ولا بعد وقوله قاب قوسين

Copyright © King Saud University